المحاضرة السادسة: سياسة الوندال في شمال إفريقيا و الاحتلال البيزنطي لشمال إفريقيا

أولاً: الوندال في شمال افريقيا:

بعد أن ساءت العلاقة بين الحاكم الروماني **بونيفاس** والإمبراطورية الرومانية وقررت هذه الأخيرة عزله سنة 427 ميلادي وعلى الرغم، من انتصار جيش روما في ثلاث معارك إلَّا أنه استعان بالوندال ضد روما مع تنازله لهم عن غرب المستعمرات الرومانية في شمال افريقيا فقام قائد الوندال **جنسريق** باحتلال الجزء الغربي من شمال افريقيا سنة 439 للميلاد؛ وبالنظر إلى همجية الوندال وعدم احترامهم للاتفاق قرر **بونيفاس** أن يطلب من إمبراطور روما العفو عنه عن طريق **القديس اوغسطين** وحارب الوندال وانهزم أمامهم في مدينة قالمة ثم هرب الى عنابة ولكنه انهزم للمرة الثانية وبعدها رجع بونيفاس إلى روما؛ وفي فترة تقارب العامين تمكن الوندال من بسط نفوذهم على كامل المقاطعات الرومانية شمال إفريقيا فانتهى الاحتلال الروماني الذي دام 576 سنة، ثم دمر الوندال كل آثار الامبراطورية الرومانية[1].

أصل الوندال:

ترجع أصول **الوندال** إلي إحدى شعوب الغوط الذين أقاموا في القرن 3 ق م على شاطئ البلطيق ثم إنتشروا في جرمانية وتعددت شعوبهم فكان منهم السويف والآلان والبرغندو الوندال وفي النصف الثاني من القرن **الثالث الميلادي** تغلبوا علي بلاد مقدونيا وبلاد الإغريق وانتشروا علي ضفاف نهر الدانوب بعضهم جنوبه ويسمون الغوط الشرقيون وبعضهم شماله ويسمون الغوط الغربيون.

يعتبر الوندال من القبائل الجرمانية التي كانت تسكن في شمال أوروبا وبعد غزوات مختلفة استوطنت غرب أوروبا بإسبانيا وبلاد الغال، وكان الوندال قوم معروفين بالهمجية، ودخلوا الشمال الإفريقي بالتحالف مع القائد الروماني "**بونيفاس**" والذي استنجد بهم ليتغلب على جيش الإمبراطور "**فالنتين الثاني**" سنة 429 م، لكنه لمّا لاحظ همجيتهم تراجع عن ذلك التحالف، وبقي الوندال وحدهم[2].

إلَّا أن الغوط لم يستقروا طويلا فعرفوا بهجراتهم وإقتحماتهم وقد بدوأ ينخرون من جسد الإمبراطورية الرومانية لعدة أسباب محتفلة منها احتياجاتهم المعيشة (فحطموا جميع خطط الدفاع المنتصب على ضفاف نهر الدانوب و ذلك قرب مدينة ماينس mayence في 31 ديسمبر 406 م. وأكتسحوا غوليا ونهبوها ثم دخلوا إسبانيا في خريف 409 ولم تمضي سنتان أو ثلاثة حتى قسموا الجزيرة فأستقر الهستنج والسواف في الشمال الغربي بجليقية وأحتل السيلينخ الجنوب في البيتيك أما الآلان فقد إنتصبوا في بلوزيطايا المنطقة الونيقية في الجهات المتوسطية ولما بدؤ يحكمون قبضتهم على البلاد حتي لاحت أبصرهم علي بلاد المغرب ففي سنة 410 م جهز **أريك فيريجيو** أسطولا لينقل شعب الغوط إليها إلا أن

---

[1] نبيل بن حمزة، «محاضرات في تاريخ الجزائر السياسي»، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2، 2020-2021، ص 05.

[2] خالد توازي، «محاضرات في تاريخ الجزائر السياسي موجهة لطلبة السنة الأولى علوم سياسية وعلاقات دولية»، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة محمد بوضياف- المسيلة-، ص 10.

العاصفة حطمته في المضيق ولقي **وليا** ملك الغوط في إسبانيا نفس المصير قرب قادس في سنة 416 وفي هذه السنة رمي زعيم الإمبراطورية وقائد فرقة قسطنطين بجنده (**قوط وليا**)على سواحل إسبانيا فأبادوا قبائل **سيلنخ** ثم وجه ضربات قاسية نحو الألان ومازال بهم حتى إذا أبوا في شعب الهستنخ وقد إجتنب الوندال الكارثة لأنهم نزحوا بسرعة كبيرة . [1]

لم يكن الوندال أهل حضارة، بل كانوا غلاظا همجا، حكموا البلاد بالاستبداد المطلق، فصادروا الضيعات من الأهالي، وانتزعوا أملاكهم منهم، وتعسفوا في جمع الضرائب، واتبعوا سياسة دينية متطرفة، فصادروا ممتلكات الكنيسة الكاثوليكية، واضطهدوا رجال الدين، كما بالغوا في سياسة السلب والنهب، وكرد فعل على هذه الأعمال الوحشية قامت في هذه البلاد ثورات وطنية عديدة، وفي نفس الوقت نشبت خلافات بين الوندال أنفسهم على السلطة، وكثرت الدسائس والمؤامرات، وقد حاول أحد حكامها وهو جليمار انقاذ الوضع من هذا الفساد والتعفن، ولإطفاء نار تلك الثورات لكن دون جدوى. استنجد هيلدريك المخلوع بالإمبراطور جيستينيان البيزنطي ليساعده ليعود إلى العرش، فأنجده ووجه حملة بيزنطية عام 355م إلى إفريقيا بقيادة بليزاريوس، وصادف وجود هذه الحملة غياب الأسطول الوندالي في المياه الإيطالية محاصرا جزيرة سردينيا الثائرة وفي الجنوب التونسي للقضاء على ثورة الأمير أنطلاس، وهكذا أحرزت هذه الحملة انتصارات، واحتلت مدينة قرطاجنة عام 359 م، ووقع جليمار في يد رجال الحملة، وكان ذلك نهاية الحكم الوندالي في افريقيا بعد قرن من الاختلال والظلم، ولم يخلف الوندال أي أثر حضاري في البلاد.

سياسة الوندال في شمال افريقيا:

ينتهج الوندال سياسة عسكرية بالدرجة الأولى، فالملك هو الذي يسمي (يعين) جميع الأشراف والموظفين في الدولة كما يقوم بتعيين أعضاء مجلس الشورى و الذين ينتمون إلى فئة الولاة و القساوسة و الأعيان. فالملك عند الوندال تتمركز جميع السلطات في يده. أمَّا عن سياسة الوندال في شمال إفريقيا فقد سمح قائد الحملة الاستعمارية أو الاستيطانية بالحفاظ على النظام المعمول في شمال افريقيا لكن احتفظ لنفسه بأراضي الدولة الرومانية مع تخفيض طفيف للضرائب المفروضة على السكان كما حاربوا الديانة المسيحية وخربوا الحصون الرومانية وانشغلوا بمحاصرة سردينيا ومع مرور الوقت أصبحت السياسة الوندالية أكثر تعسفًا وهمجية ضد سكان شمال افريقيا[2].

وفي سنة 523 ميلادي اعتلى العرش الوندالي حاكم مسالم يدعى **هيلدريق** الذي قرر ايقاف السياسة التعسفية وأدخل دولته تحت سيادة امبراطورية بيزنطة في المدينة القسطنطينية فثار عليه الوندال وسجنوه؛ وخلفه في الحكم رئيس الجنود المكلف بمحاربة بربر الغرب وهو جلمير؛ والذي يعتبر آخر حكام الوندال في شمال افريقيا بعد الحروب التنافسية بيه وبين البيزنطيين ففي عام 534 ميلادي نشبت المعركة

---

[1] أمير، « الاحتلال الوندالي لبلاد المغرب القديم »، متوفر على الرابط: https://bit.ly/3CFttI5 .2010/04/29

[2] نبيل بن حمزة، مرجع سابق، ص 06.

الفاصلة في نواحي تونس العاصمة بين القائد البيزنطي **بيلزاريوس** و **جيلمير** وانتهت بانهزام الأخير والذي أدى إلى انهيار الدولة الوندالية التي دامت حوالي قرن من الزمن (431م-534م).

الاحتلال البيزنطي لشمال افريقيا:

تعتبر الدولة البيزنطية دولة الروم الأرثوذكس التي أسسها الإمبراطور الروماني قسطنطين سنة 330 ميلادي في مدينة القسطنطينية التي تعتبر نقطة التقاء بين القارتين الأوربية والآسيوية؛ غير البيزنطيون نظام الحكم في شمال افريقيا حيث عينو حكاما مدنيين على المقاطعات شمال افريقيا والتي تم ضمها إلى الامبراطورية البيزنطية ولم يتغير هذا الوضع إلَّا في سنة 578 ميلادي حيث شرع البيزنطيون في تعيين حكام عسكريين لمواجهة ثورات البربر وفيما يخص الجزائر فقد قسمها حكام بيزنطا إلى ثلاث مقاطعات من بين ثلاث مقاطعات إفريقية وهي:

1/ نوميديا(قسنطينة)

2/ موريتانيا السطايفية(سطيف وما يجاورها)

3/ موريتانيا القيصرية(شرشال)

كانت سياسة البيزنطيين في الأول اجتماعية تعاونية لكن اتضح للأهالي (البربر) أنَّ البيزنطيين يطبقون قوانين مجحفة بقسوة وعنف كما أرهقهم بالضرائب وهكذا تنامت مشاعر العداوة بينهم والتي ظهرت على شكل مقومات عسكرية من أشهرها مقاومة زعيم جبل الأوراس **يابداس** الذي تمكن بمساعدة ألف فارس من الهجوم على مدينة نوميديا واحتلالها وطرد البيزنطيين منها كما نجح في احتلال تيمقاد أيضا.

أسباب انهيار الدولة البيزنطية:

1/ كثرة الحروب والصراعات الدينية.

2/ تمرد الجنود بسبب الرواتب.

3/ ضعف سلطة الدولة المركزية(المحتلة) بسبب بعدها عن شمال أفريقيا.

كل هذه الأسباب ساعدت القادة المسلمين على التخلص من البيزنطيين بعد احتلال دام 113 سنة وإقامة نظام عربي إسلامي دام إلى يومنا هذا.